دور السنوسية في التقارب الجزائري العثماني في نهاية القرن التاسع عشر

أ. منير صالحي

جامعة محمد بوضياف المسيلة

إن كانت فكرة الوحدة الإسلامية متأصلة لدى المسلمين فقد عرفت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر دعوة إلى إحيائها: لمواجهة الاستعمار الأوربي المتكالب على تقسيم الدولة العثمانية والقارة الإفريقية، ومن بين الحركات التي سعت إلى وحدة المسلمين الحركة السنوسية، التي كان مركزها في واحة جغبوب بطرابلس ثم توسعت في كل شمال إفريقيا وجنوب الصحراء الكبرى. وشكلت خطرا حقيقيا على الاستعمار الفرنسي المتمركز في الجزائر، والذي بدأ يبسط نفوذه على الصحراء الكبرى وما ورائها.

ولم تكن السنوسية طريقة دينية روحية فحسب، بل اهتمت بالسياسة: وكان لها مشاريع لتوحيد المسلمين، ولها مواقف من الدول الأوربية والدولة العثمانية. وتزامنا مع مشروع الوحدة الذي جاء به السنوسي تبنى السلطان عبد الحميد الثاني فكرة الجامعة الإسلامية باسم الخلافة، وقد كانت استراتيجية السلطان عبد الحميد الثاني تقوم على استقطاب شخصيات دينية إسلامية تعمل على ترويج الدعوة لفكرة الوحدة في ظل الخلافة الإسلامية.[1] ومن بين هذه الشخصيات السنوسي. فما مدى

---

[1] مصطفى الغاشي، "فكرة الجامعة الإسلامية من خلال "النور اللامع في بيان الأصل الجامع" لإبراهيم السنوسي"، في: العثمانيون في المغارب من خلال الأرشيفات المحلية المتوسطية، ط.1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، الرباط، 2005، ص.74.

مساهمة السنوسي في ربط الجزائريين الذين هم جزء من المشروعين الوحدويين بالدولة العثمانية؟

أرى من الضروري معرفة بعض الجوانب من حياة الشيخ السنوسي، وذلك لفهم المشروع الوحدوي وأهم معالمه، وموقع الجزائريين في هذا المشروع. وعلاقتهم بالدولة العثمانية من خلال الطريقة السنوسية.

فمؤسس الطريقة السنوسية هو جزائري الأصل وهو محمد بن علي السنوسي ولد في نهاية القرن الثامن عشر في أولاد سيدي عبد الله مرابط المجاهر قرب مستغانم. بدأ تعليمه في بلده، وفي حوالي سنة 1821 غادرها إلى المغرب الأقصى لإتمام تعليمه، وفي سنة 1829 غادر المغرب الأقصى متجها إلى المشرق عبر الطريق الصحراوي. ولكنه بقي في الصحراء الجزائرية عدة سنوات يعلم الناس أمور دينهم، حيث أقام في جبل عمور وعين مهدي والأغواط ومسعد (الجلفة) حيث تزوج بامرأة من أولاد نايل، وغادر أولاد نايل متجها إلى البقاع المقدسة في سنة 1839*. أقام قليلا في تونس وبقي فترة في طرابلس ومصر، ثم اتجه إلى مكة حيث التقى بالشيخ إدريس الفاسي شيخ الطريقة القادرية، وأصبح من مريديها، وبعد موت إدريس الفاسي أصبح محمد بن علي شيخ الطريقة، والتي أصبحت تعرف بالسنوسية، غادر الحجاز في سنة 1843 وأقام بصحراء ليبيا حيث كان له أتباع كثير وجعل من الجغبوب عاصمة له.[1]

---

* جعلها لوي رين (Louis RINN) في كتابه "مرابطون وإخوان" في سنة 1835، بينما Edmond DOUTTER. 16H57, A.N.O.M. يجعلها 1839

[1] كتب الكثير عن حياة السنوسي، بالإضافة إلى المرجعين السابقين، أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الرابع، و

Jean-Louis TRIAUD, Les Légende noire de la Sanusiyya, Une confrérie musulmane saharienne sous le regard française (1840-1930

إن السنوسي كان رجل علم ودين واعيا لما يحدث في العالم الإسلامي من انحطاط فكري وسياسي، مطلعا على أطماع الأوربيين فاختار طريقة صوفية لإصلاح حال المسلمين. لقد جعل من واحة الجغبوب بالصحراء الليبية عاصمة له، وفي هذا ابتعادا عن كل القوى المتناحرة آنذاك، وبدأ من هناك ينشر دعوته، واعتمد بصفة أساسية على إنشاء الزوايا في الصحراء الكبرى، ولم تكن الزوايا السنوسية مؤسسات علمية فحسب، بل كانت مراكز دعوة وجهاد ومراكز اقتصادية وثقافية، ومعسكرات للحرب. لقد انتشرت الدعوة السنوسية في مصر وطرابلس من الشرق إلى المغرب الأقصى غربا. ومن البحر المتوسط شمالا إلى أواسط إفريقيا جنوبا. ويعترف أندري سيرفيي بأن سر نجاح السنوسية هو في تعاليمها التي تستجيب لمتطلبات المسلمين.[1] بالإضافة إلى سياستها الخارجية.

سياسة السنوسية الخارجية:

عرفت السنوسية اتساعها وأصبحت لها شوكة وهيبة في عهد المهدي الذي خلف أباه محمد بن علي السنوسي في سنة 1859، وكانت سياسته الخارجية تقوم على الحياد؛ فلم يدخل في أي نزاع مسلح مع أي دولة أوربية، فقد رفض التحالف مع المهدي السوداني، ومساعدة العُرابيين في مصر في سنة 1882؛ كما رفض التعاون مع الإيطاليين لإيقاف التوسع الفرنسي في تونس، ورفض مساعدة السلطان العثماني في حربه مع روسيا في سنة 1877، ورفض عروض الألمان لإيقاف التوسع الإيطالي في إفريقيا في سنة 1882. وحسب رين(Louis RINN) فإن السنوسي كان يرى أن الحرب لاتكون إلا لإعادة الإمامة العظمى كما كانت عليه الخلافة الراشدة.[2] وقد يكون رفض السنوسي للدخول في أي حرب من حنكته السياسية، لأن الأعداء محيطين به

[1] André SERVIER, Le péril de l'avenir le nationalisme musulman en Egypte en Tunisie en Algérie, 2Ed, Imprimerie M.BOET, Editeur, Constantine, 1913,p151

[2] Louis RINN, Marabouts et Khouan, étude sur l'Islam en Algérie, ADLPHE JOURDAN, Alger, 1884, p.497

من كل جانب، وهي مسألة وقت فقط لأنه فيما بعد دخل في صراع عسكري مع الفرنسيين في جنوب الصحراء.

- علاقة السنوسية بالدولة العثمانية:

إن حكم العثمانيين لطرابلس كان في الواقع في السواحل فقط، أما في الداخل فبقيت في يد الزعامات القبلية. وقد جاء السنوسي إلى المنطقة في وقت بدأت فيه سلطة الدولة العثمانية تضعف، وشعرت بضرورة التقرب من السنوسي لتدعيم سلطانها. فقد نال محمد بن علي السنوسي من السلطان عبد المجيد في سنة 1856 فرمانا أعفى بموجبه الزوايا السنوسية من الضرائب، وسمح لهم بجمع العشر.[1]

وقد أثمر اعتراف العثمانيين بالسنوسية إمارة جديدة منضوية تحت لواء الخلافة.[2] وإن عدها المؤرخون الفرنسيون دولة داخل دولة.[3] ومهما يكن من أمر فإن السلطان عبد الحميد الثاني عندما تولى الخلافة بدأ بالتقرب من المهدي السنوسي، وطلب منه المساعدة في حربه مع روسيا لكن السنوسي رفض ذلك. وقد كان السلطان العثماني يرى أن خير وسيلة لجمع شمل المسلمين هو الاعتماد على العاطفة الدينية في مشروعه المعروف بالجامعة الإسلامية، وهذا لرد العدوان الأوربي على البلدان الإسلامية، ورأى أن خير مدافع عن المسلمين في طرابلس هو الشيخ السنوسي، يقول السلطان عبد الحميد الثاني في مذكراته:"إذا كان هناك أحد يمكنه الدفاع عن حقوقنا فهو الشيخ السنوسي، فهو قادر على أن يجمع حوله حوالي ثلاثين ألفا من الرجال ولن يتخلى عن بنغازي إلا بعد قتال"[4]. وتؤكد الدراسات

---

[1] محمد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص.53

[2] المرجع نفسه، ص.53

[3] Louis RINN, op.cit. p.493, et Jean-Louis TRIAUD, Les Légende noire de la Sanusiyya, Une confrérie musulmane saharienne sous le regard française (1840-1936), Editions de la Maison de sciences de l'homme, Paris, 1995, t1, p.492

[4] السلطان عبد الحميد،مذكراتي السياسية، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1979 ص. 147

الفرنسية ومن خلال مراسلات القناصل الفرنسيين أن السلطان العثماني بقي لمدة تسع سنوات كاملة يحاول كسب السنوسية إلى جانبه خلال حكم المهدي، ولكن المهدي كان حذرا في تعامله.[1]

ولم يتقرب السلطان عبد الحميد الثاني من السنوسي إلا بعد أن عرف نوايا السنوسية تجاه الدولة العثمانية، حيث أكد له رجال حكومته في بنغازي أن المهدي يربطه بالدولة العثمانية الولاء والإخلاص الكامل والطاعة التامة. فأكثر السلطان من إرسال الكتب والهدايا، وقرب رجال السنوسية.[2] ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد بل أن السنوسيين في طرابلس عظم شأنهم. فالوالي العثماني على برقة علي كمال باشا كان يعد نفسه خادما للسنوسي، وكذا خلفه الحاج رشيد باشا(في سنة 1886). وأصبح الإخوان في الزوايا السنوسية الساحلية معفيين رسميا من الأموال الأميرية.[3] كما أن السنوسيين أصبح لهم شأن في البلاط العثماني ومنهم سيدي محمد الفالح الظاهري الذي ذكره الحشائشي في رحلته، فهو من أكبر شيوخ الجغبوب صحب الشيخ السنوسي الكبير وهو من أكبر أدباء وعلماء زمانه، يقول عنه الحشائشي: "أنه اليوم بجانب أمير المؤمنين الذي يعامله معاملة تقدير واحترام وهو من المغرب".[4] كما كان شقيق مقدم السنوسية في طرابلس الشيخ محمد جعفر مستشار السلطان عبد الحميد الثاني.[5]

إن التقارب العثماني ـ السنوسي كان مصدر إزعاج للدول الأوربية، وكان الأوربيون يشكُون للسلطان عبد الحميد الثاني حركة السنوسي، وكما يذكر الأمير

---

[1] Jean-Louis TRIAUD, op.cit. p.422

[2] محمد فؤاد شكري،مرجع سابق، ص. 79

[3] المرجع نفسه، ص79.

[4] محمد بن عثمان الحشائشي، الرحلة الصحراوية عبر أراضي طرابلس وبلاد التوارق، تر: محمد المرزوقي: الدار التونسية للنشر، تونس، 1988، ص.88

[5] محمد فؤاد شكري: المرجع نفسه، ص79.

شكيب أرسلان أنه نظالما ضغطت دول أوربا على السلطان لأجل أن يستدعي المهدي إلى الآستانة ويأمره بالإقامة بها ولايأذن له بالعودة.[1] وقد كثر نشاط الجواسيس الأوربيين والقناصل الفرنسيين بصفة خاصة في هذا المجال. حيث كانوا يفكرون هل من مصلحة الفرنسيين التقارب العثماني السنوسي؟[2].

كان الجواسيس الفرنسيون يتتبعون كل التحركات بين السنوسيين والعثمانيين وأكدوا للسلطان العثماني أن هناك مخازن للأسلحة في طرابلس[3]. إن هذه الضغوط أجبرت السلطان على إرسال مبعوث اسمه عصمت بك إلى جغبوب في مأمورية سرية، فكان رد السنوسي بكلام لايتضمن نفيا ولا إيجابا، وإنما تلا آيات من كتاب الله تتضمن معنى التوكل، بعدها بمدة يسيرة في سنة 1895 غير المهدي عاصمته من جغبوب إلى الكفرة في وسط الصحراء.

وبعد رحيل السنوسي إلى الكُفرة وفي سبتمبر 1895 أوفد السلطان العثماني الشيخ عبد العزيز العيساوي ليؤكد ولاء وإخلاص المهدي لخليفة المسلمين والدولة العثمانية. وكان يصحبه ابن أخيه الشيخ الأخضر العيساوي، وقد وجدا كل حفاوة واستقبال في الآستانة.[4] وقد اغتنم السلطان وجود العيساوي وأرسل معهم صادق بك المؤيد لزيارة الكفرة، وأرسل له هدايا منها نسخة من صحيح البخاري "وساعة لتكون في أوقات الصلاة مذكرة له بصالح دعواته لجنابه العالي"السلطان"[5].

وفي 22 سبتمبر 1895 أرسل باشكاتب رسالة رسمية إلى المهدي يحذره فيها من أطماع الدول الاستعمارية، ويستميل الشيخ السنوسي إلى جانب الدولة العثمانية ويذكره بوحدة المسلمين حيث يقول:"...على أن القصدَ العالي اتحاد المسلمين كما أمر رب

---

[1] شكيب أرسلان، حاضر العالم الإسلامي، م1،ج2،ط4، دار الفكر، بيروت، 1972، ص.162

[2] Jean-Louis TRIAUD, op.cit. p.423

[3] Ibid, p.428

[4] محمد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص.85

[5] المرجع نفسه، ص.86.

العالمين، وما الغاية من هذا كله إلا للمدافعة عن الحقوق الدينية والسلامة والأمن في الممالك المحروسة الإسلامية العثمانية.." ثم يطلب منه الدعاء بنصرة الخليفة.[1]

أما صادق بك فقد استمرت رحلته 49 يوما إلى الكفرة. وقد وجد استقبالا عظيما، وأكد له الشيخ المهدي السنوسي أنه لايقصد من أعماله إلا خدمة الإسلام وبث الدعوة لطاعة السلطان خليفة المسلمين، وبعد عودته كتب عنه:"إنه شيخ مستقيم تجاه الخليفة وفيّ لوصية والده، يدعو كل يوم بعد صلاته أن يحفظ الخليفة والمسلمين..."[2].

إن الشيخ المهدي السنوسي كما وصفه رين يعمل في هدوء وصمت حتى يصل إلى أهدافه. ويبدو لي أنه يكفي اعترافه بالسلطان العثماني، وعدم معارضته له أنه يخدم أهدافهما المشتركة وهي وحدة المسلمين والتصدي للاستعمار.

علاقة الجزائريين بالسنوسية:

إن علاقة الجزائريين بالسنوسية وطيدة، فقد كان من تلاميذ محمد بن علي السنوسي سي عبد الله التواتي وقد قتل في عين الصفراء في سنة 1851، وعند وفاة السنوسي الكبير تولى أمور الطريقة ابنه المهدي وكان عمره حوالي 14 سنة وكان من مستشاريه المقربين سي أحمد الغماري، وسي المدني بن مصطفى التلمساني،[3] وقد ذكر الحشائشي في رحلته في سنة 1896 من مقربي الشيخ المهدي محمد التواتي وهو مكلف بمراسلات الشيخ وكاتبه. ومحمد البسكري أصيل بسكرة وهو بمثابة وزير ومستشار الشيخ. وأحمد التواتي يشغل لديه مهام القاضي، يقول الحشائشي: وكلهم أطواد في العلوم العقلية والنقلية.[4]

---

[1] المرجع نفسه، ص87

[2] Jean-Louis TRIAUD, op.cit, t1, p.434

[3] L. RINN, P.493

[4] الحشائشي، مصدر سابق، ص. 89

وخلال سنوات 1850-1860 انضم معظم سكان توات للطريقة السنوسية وعند احتلال الفرنسيين للمنطقة انسحب أتباع السنوسي إلى الصحراء.[1]وحسب الإحصائيات الرسمية الفرنسية فإن عدد أتباع السنوسية في الجزائر 511 في سنة 1882 ولكن هذا الإحصاء غير دقيق فهو خاص بزاوية بن طكوك فقط، ولم تستطع السلطات الفرنسية إعطاء العدد الحقيقي للسنوسيين في الجزائر وذلك لمرونة هذه الطريقة فهي تسمح لأتباعها بالانضمام إلى أي طريقة أخرى. فنجد كثيرا من السنوسيين ينتمون إلى القادرية وهي الطريقة الأم للسنوسية، وكذا المدينية وغيرها من الطرق، ويذكر رين أنه بعد ثورة الأوراس في 1879 هناك إشارة إلى وجود 500 من السنوسيين قد شاركوا في الثورة ولكن عند التحقيق وجدوا أن هناك طريقة جديدة نشأت وهي "دردورية"، فقد تكون متفرعة عن الرحمانية أو الشاذلية يقول رين وقد يكون لها علاقة بالسنوسية.[2]

رغم قلة مريدي الطريقة السنوسية في الجزائر مقارنة بالطرق الأخرى، فإن السنوسي قدم خدمات للجزائريين، كانت مساهمة منه في مقاومة الاستعمار الفرنسي في الجزائر ومنها:

1-مساعدة الثوار:

لقد عرفت نهاية القرن التاسع عشر قمة التنافس الأوربي على اقتسام إفريقيا وخاصة بعد مؤتمر برلين 1884-1885، حيث وضعت الأسس العامة لاقتسام القارة الإفريقية، وبعد حادثة فاشودة وتصادم المصالح الاستعمارية الفرنسية والبريطانية فأمضوا اتفاقية 21 مارس 1899، ولكنهم وجدوا مقاومة شديدة من السكان سواء في شمال الصحراء الكبرى أم في جنوبها، وكان المساعد الأساسي لهذه الثورات هي الطريقة السنوسية.[3] فالسنوسية ومنذ إنشائها كانت تساعد كل الثوار ومنهم محمد

---

[1] Jean-Louis TRIAUD, op.cit, t1, p.78

[2] Louis RINN, op.cit, p.515

[3] André SERVIER, op.cit, p.153

بن عبد الله شريف ورقلة الذي أعلن الثورة في الصحراء الكبرى الجزائرية خلال الخمسينيات، في الوقت الذي بدأ فيه التوسع الفرنسي في الصحراء الكبرى وكان التنافس حادا بينهما وكان محمد بن عبد الله قد التقى السنوسي في مكة ونسق معه الرجوع إلى الجزائر في حدود سنة 1850. وكتب السنوسي الرسائل إلى أهل الطرق والمؤيدين له يطلب منهم دعم هذا الشريف. وقد شملت المنطقة التي حارب فيها بلاد الطوارق وورقلة وبني ميزاب والأغواط وتوات ووادي ريغ ووادي سوف والزيبان.[1] وقد تحالف شريف ورقلة مع أحمد التواتي حسب الروايات الفرنسية. وقد كان أحمد التواتي ناقما على الفرنسيين وهم يصفونه بالمتعصب، كان يجند الأتباع للسنوسية والشريف هو الذي يحارب بهم فقد كان يدعو للجهاد وينتقل من مكان إلى مكان ويشتري السلاح والذخيرة. وكان أحمد التواتي أفتى بقتل بعثة دوفيريه بمن فيها من المسلمين.[2]لقد دامت ثورة شريف ورقلة حوالي عشر سنوات انتهت باعتقاله في سنة 1861، واحتلال تقرت والأغواط والصحراء الجزائرية الشرقية.[3] كما كان يرى لويس تيرمان (1882-1891) أن السنوسي له علاقة ببوعمامة وأن كليهما له علاقة بثورة المهدي السوداني، لذلك لم يرخص لشيوخ الزوايا بالتنقل إلا نادرا.[4]وحسب بعض التقارير الفرنسية الأخرى أن السنوسي لم يشارك في أي ثورة بعد ثورة شريف ورقلة وإنما كانت مساعدته للجزائريين بطرق أخرى.

2-تأمين الطرق الصحراوية:

كما سبق وأن ذكرنا أن أهم وسيلة استعملتها السنوسية لنشر دعوتها هي إنشاء الزوايا، وخاصة في الصحراء لفرض سيطرة تامة على كل الطرق الصحراوية، والتجارة العابرة للصحراء التي كانت في نهاية عهدها الذهبي، وقد كانت معظم الطرق

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص. 254

[2] سعدالله، المرجع السابق، ص.255، نقلا عن دوفيريه.

[3] Jean-Louis TRIAUD, op.cit. p.34

[4] سعد الله، المرجع السابق ص.327

الصحراوية متجهة من الشمال نحو الجنوب، وكان هناك محطات ومدن تجارية كبرى معروفة مثل: تقرت عاصمة قرى وادي ريغ، وورقلة وتوات في الجزائر وغات قرب الحدود الجزائرية وغدامس... وغيرها من المدن، لقد أراد السنوسي استغلال هذه المراكز لإنشاء زوايا في طريقين صحراويين متجهين من الشرق إلى الغرب وهما الطريقان اللذان يسلكهما الحجاج المغاربة في رحلتهم إلى البقاع المقدسة، فقد أراد السنوسي حسب المراسلات بين السنوسي ونائبه عبد الله

السني"أن يجعل الطريق الأول الشمالي يمر عبر الجريد التونسي إلى ورقلة والثاني هو طريق

غدامس وحسب Djain فإن السنوسي كان مُصرًا على إنشاء وتعمير هذا الطريق، وكتب في 1858 إلى عبد الله السني يأمره أن ينشئ زاوية في زمزم شمال غدامس.[1]

وفي اعتقادنا أن هذه الطرق كان لها أهمية كبيرة في وقتها منها السيطرة على التجارة العابرة للصحراء-وإن كانت قد بدأت تذهب أهميتها- ووقف البعثات العلمية والاستكشافية والتبشيرية التي يقوم بها الأوربيون في الصحراء. كما كان لها أهمية أخرى وهي ربط سكان المغرب الإسلامي وإفريقيا بصفة عامة بالمشرق. والسنوسي في مشروعه هذا يشبه مشروع السلطان عبد الحميد الثاني في مد السكك الحديدية بين الحجاز والشام والعراق لوصل المسلمين ببعضهم. ومن هناك نجد أن الرقابة الفرنسية على الحدود الجزائرية التونسية والجزائرية المغربية، دفعت بالجزائريين جنوبا إلى الصحراء وهم أعلم بها، وكانت علاقاتهم مع السنوسيين المتمركزين في الصحراء الليبية.

تقع توات جنوب ورقلة بحوالي 700كلم

استولى على وثائق زاوية غارو بعد احتلال القوات الفرنسية للمنطقة، وترجم هذه الوثائق ولكن الأصل ضاع. وهي مراسلات بين الشيخ السنوسي وعبد الله السني.

[1] Jean-Louis TRIAUD, op.cit. t1, p57

الشيء المؤكد لدى الفرنسيين أن هناك سنوسيين في الجزائر وبعضهم في الموطن الأصلي للسنوسي بمستغانم حيث الزاوية الطكوكية.[1] وأيضا الصحراء الشرقية الجزائرية. كما أن القبائل جنوب تونس والمتاخمين للحدود الجزائرية -كما يؤكد الجنرال مينيي Meynier*- كلهم ينتمون إلى الطريقة السنوسية أو لهم علاقة بالدعوة الوهابية، وهم دائما في عداء للأوربيين، ويأتمرون بدعاية الجامعة الإسلامية.[2] إن هذا التواجد للسنوسيين في الجزائر شكل هاجسا للفرنسيين، وأصبحوا يراقبون كل من يدخل ومن يخرج من الجزائر خاصة أولئك الحجاج الذين يمرون بالجغبوب أو الكفرة فيرسل القناصل الفرنسيون إلى الحاكم العام في الجزائر حول أوصافهم ويؤمر بمراقبتهم، والأمثلة كثيرة على ذلك.[3]منها الزيارة التي أولت لها السلطات الفرنسية اهتماما كبيرا، حيث كانت المراسلات بين القنصل الفرنسي في استانبول ووزير الخارجية الفرنسي بباريس والحاكم العام في الجزائر، حول الإجراءات التي يمكن اتخاذها عند زيارة سيدي عمر الوزاني ممثل الطريقة السنوسية في استانبول، والذي قرر زيارة الجزائر في سنة 1893، فالهدف المعلن لهذه الزيارة هو جمع التبرعات (الزيارة) من زوايا السنوسية في الجزائر زاوية زاوية -كما جاء في التقرير-، ولكن السلطات الفرنسية تشك في الهدف المعلن عنه لأن له أهداف أخرى وراء الزيارة.

---

[1] Louis RINN, op.cit. p515

* كتب سلسلة من المقالات عن السنوسية في سنوات: Revue militaire française 1932, 1933,1934

[2] Général MEYNIER, ' La guerre sainte des Senoussya', in: Revue militaire française, T46, octobre- décembre, 1932, p.p. 416-417

[3] نجد في الأرشيف الفرنسي نماذج كثيرة عن مراسلات القناصل الفرنسيين في كل من استانبول وبنغازي وتونس وجدة إلى الحاكم العام في الجزائر تحذره من الجزائريين الذين لهم علاقة بالسنوسية أو الجامعة الإسلامية حتى يمكن مراقبتهم بشكل جيد او محاكمتهم في الجزائر: يراجع: العلب: 16H56, 16H57 A.N.O.M. Aix-En-Provence

ورغم أن تحركات شيوخ الطرق الصوفية كانت محظورة وبشكل أخص الطريقة السنوسية فإن الحاكم العام اقترح أن يسمح له بالزيارة، ويعطى الوثائق اللازمة تحت المراقبة الشديدة والدقيقة ثم يقول:" ماهي الجنسية الحقيقية للوزاني هل هو مغربي حقا كما يبدو من اسمه؟ ففي هذه الحالة يمنع دخوله إلى الجزائر. أما إذا كان جزائري يعمل للدعاية ضد فرنسا فيمكننا توقيفه، وفي الحقيقة يبدو لي جليا من الصعب السماح رسميا بجمع الزيارة (التبرعات) لطريقة لاتخفي عداءها للمسيحيين مثل السنوسية. ففي الواقع منذ عدة سنوات والزيارة ممنوعة في الجزائر، حتى بالنسبة لبقية المرابطين المحليين الذين هم لا يعارضون نفوذنا . ولانسمح بذلك إلا في حالات نادرة، فيما يخص شيوخ الطريقة التيجانية الذين قدموا لنا خدمات في الماضي وهم الآن يساعدوننا."[1]

إن مخاوف الفرنسيين من الوزاني كانت بسبب انتمائه لحركة الجامعة الإسلامية، فقد كان عضوا بارزا فيها ومن دعاتها. وقد جاء في مهمة لجمع شمل المسلمين في الجزائر والمغرب، وفي هذا خطر على التواجد الفرنسي في شمال إفريقيا. إن هذه الزيارة تعطينا مثالا بسيطا عن العلاقة الثلاثية بين الجزائريين والسنوسيين والدولة العثمانية، حيث كان السلطان العثماني في هذه الفترة يستعمل كل الطرق لجمع شمل المسلمين لمواجهة الاستعمار الأوربي.

3- الدعوة إلى الهجرة:

ولعل من أهم الخدمات التي قدمها السنوسي للجزائريين وربطهم بالدولة العثمانية: هو دعوتهم إلى الهجرة مثلما كان يدعو السلطان عبد الحميد الجزائريين إلى الهجرة. وإن تعددت الأسباب فإن السبب الظاهر هو عدم الخضوع لحكم الكفار. وقد شهدت الجزائر موجات من الهجرات، منها الهجرة بعد ثورة المقراني في سنة 1871: وأيضا عدة موجات من الهجرات في نهاية القرن التاسع عشر، وقد اختلف

---

[1] هناك ملف عن هذه المراسلات في العلبة : A.N.O.M Aix-En Provence 16H57

المؤرخون هل كان السنوسي من دعاة الهجرة أم لا؟ فرين(RINN) كتب في "مرابطون وإخوان"[1] أن السنوسي فتح باب زواياه للمتمردين والفارين من الحكم الفرنسي واعتمد على رسالة للحبيب بن سي عمار وهو من مؤيدي الطريقة السنوسية الأوائل في مستغانم، وفي سنة 1863 ذهب إلى الحج وبقي في المشرق، ولقد راسله السنوسي بتاريخ 27 ربيع الأول 1286 الموافق 6جويلية 1869. وبين له وجوب الهجرة مستدلا بآيات من كتاب الله. وحسب رين أن السنوسي لم يدع الجزائريين إلى الثورة وإنما إلى الهجرة، أما (Jean-Louis TRIAUD) فيقول أن هذه الرسالة نقلها رين(RINN) عن (Pilard) المترجم العسكري، ولخصها واعتمد على وثيقة واحدة وعمم حكمها على الجميع.[2] ولاتوجد لدي مصادر عربية أو من جهة السنوسي لتبين موقفه صراحة من الهجرة، ولكننا نجد أنه كان يستقبل كل الجزائريين سواء الحجاج أم اللاجئين إليه أو المهاجرين إلى المشرق المارين بزواياه فهو يحميهم ويهيء الإقامة المناسبة، وفي هذا تشجيع لهم على الهجرة. وقد عد الفرنسيون ذلك تهديدا للفرنسيين في الجزائر، فقد كتب Loverdo في سنة 1874 :"إن السنوسية شكلت خطرا علينا في ممتلكاتنا في الجزائر، إن المتمردين يجبرون على مغادرة حدودنا، إن هذه الطريقة تنمي العداء ضدنا، وبطريقة غير مباشرة تخلق الصعوبات[3]".

وفي الختام نخلص إلى أن السنوسي جاء بمشروع ضخم هو وحدة المسلمين، وقد سبق حركة الجامعة الإسلامية التي جاء بها جمال الدين الأفغاني وحاول السلطان عبد الحميد أن يطبقها في الواقع. فهو يتفق معهم في المبادئ العامة مثل مقاومة الاستعمار ونشر الدعوة الإسلامية وحماية المسلمين، ووصلهم ببعض عن طريق تهيئة الطرق أو دعوتهم إلى الهجرة. ونظرا للسرية التي كانت تتبعها فقد كانت أتباعها يفلتون من رقابة السلطات الفرنسية، وبإعلانها عدم التدخل في السياسة فإننا نرى أنها لعبت دورا مهما في عهد

---

[1] Louis RINN. op.cit. p.p.497-498

[2] Jean-Louis TRIAUD. op.cit. p.187

[3] Jean-Louis TRIAUD. op.cit. p.167

الشيخ السنوسي الكبير وابنه المهدي في نشر الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء، وفي حماية الطرق التجارية وطرق الحج وتأخير اكتشاف الصحراء ولو لبعض السنوات. كما أنها كانت ملجأ للجزائريين الفارين من بطش الاستعمار، ولعبت دورا مهما في ربطهم بإخوانهم في المشرق الإسلامي وبالخلافة العثمانية.